
عبد الحميد
شكيل
مراتب
العشق
نصوص إبداعية
مقام سيوان
ENAG
EDITIONS
مكتبة نوميديا



مراتب العشق



01 14 34 /13
الإيداع القانوني : 2013-6153
ردمك : 0-341-00-9931-978

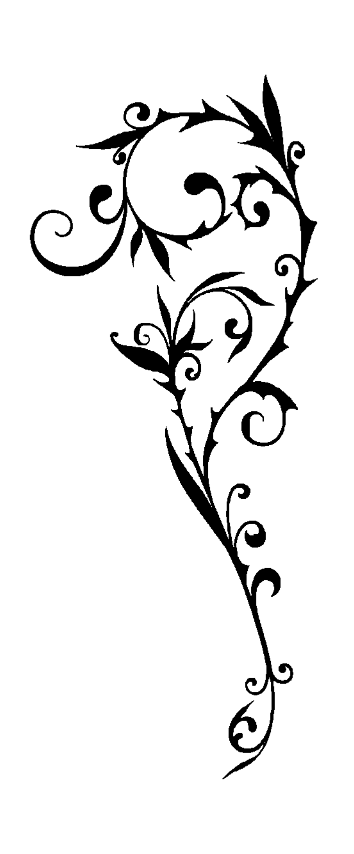
مراتب العشق

-مقام سيوان-

نصوص إبداعية

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة ٢٠١[illegible]
في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها

موفم للنشر





الإهداء

إلى أهلي هنالك : في شساع « أولاد عطية » وبراريها، حيث الخضرة الدائمة تسربل الأمكنة، وتمنحها غلالة بلورية، من لمع الوقت، وبذخ اللغة . . فتجعلهم يتوهجون: بالشوق، والمحبة، والطيبة، والعذابات الكبيرة التي فطرت منهم: نساء، ورجالا أباة، صناديد، يناجزون الزمن وقسوته، بأريحية، وصبر، ومكابدة تخر دونها الجبال. .

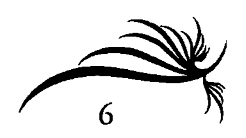
تلك صفة الأخيار، النشامى الذين يعيشون غربة الذات، ومحنة الوطن، وشظف الأعياد التي لا تجيء سوى في نسج الحكايا الفخمة، التي تمحي غَبَّ صبح ينهض متثاقلا، في غابات، وشعاب « أولاد عطية » المجاهدة، الباسلة، التي سفحت دم فلذاتها في كل الثنايا، والدروب: لتشرق شمس الحرية، والعدل، والحب، على أرض الجزائر الواسعة التي لا توزع حبها، وخيراتها بالتساوي. .





ورغم القسوة، والمعاناة، والحرمان، إلا أن أهلي هناك: يتواصلون في اللغة، ويكبرون في التاريخ، وينتشرون في الجغرافيا، ويلمعون في طلل المرايا التي كشطت غبارها، وتزيت للجهات البهية، كيما تتواشج- وهجا - في منجزها الدال، و لغتها الهاجسة. . !

عبد الحميد شكيل





فتوحات

- مثالك في عيني وذكرك في فمي
  ومثواك في قلبي فأين تغيب ؟!

« الحلاج »

- أنا الوقت، وليس في الوقت غيري .

« الشبلي »

- إذا جئت فهات الكلّ معك .

« النفرّي »

- ضيقة هي المراكب،
  ضيق سريرنا،
  للبحر وحده سنقول :
  كم كنا غرباء في أعراس المدينة ؟!

« سان جون بيرس »





- وطننا أن نكون في أحسن الأحوال !

« ميلتون »

- افتح قلبك جيدا حين تتطلع إلى رؤية الجمال،
أحيانا.. في قطرة ماء صغيرة يمكن قراءة السماوات

«.....»

- و أغرب الغرباء من عاش غريبا في وطنه !

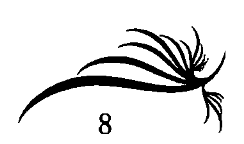
« أبو حيان التوحيدي »

- النجوم جميلة لأن فيها زهرة لانراها...

« سانت إكزوبري »

- أخذوا سيفي كمحارب، و قلمي كشاعر،
وريشتي كرسام، و قيتارتي كغجري ..
وأعادوا لي كل شيء وأنا في الطريق إلى المقبرة..
ماذا أقول لهم أكثر مما يقوله الكمان للعاصفة ؟؟

« محمد الماغوط»





تقديم

معالم نصية في مراتب العشق

بقلم: الأستاذ / رشيد شعلال
جامعة باجي مختار عنابة

توالد النص :

يولد النص في (حجريات) من اللازمة (على مرمى حجر)، وإذ يولد النص فإنما يتجزأ إلى مقطوعات ثلاثين، وعليه يمكن القول أن النص يأخذ تمامه في صورة مجموعة من الأجزاء الجامع بينها (على مرمى حجر) ؛وهي في الآن نفسه (اللازمة) التي تمثل النواة التي يولد منها النص، والقناة التي تتشعب عبرها دلالاتها وتتنوع بتنوع المقاطع الشعرية.





كذلك كانت الحال في (سيوانيات) حيث يتشكل النص من سبعة وستين مقطعا شعريا تلتئم فيما بينها بوساطة اللازمة (في سيوان).

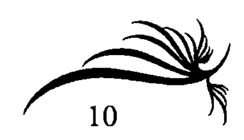
وتمثل المقاطع الشعرية، عودا على بدء، بعثا للنفس الشعري وتجديدا له، وهو ضرب من إعادة التشكيل الشعري الذي قيض له أن يتفجر فيتجزأ فروعا مصبها مدار القصيدة، إحساسا من الشاعر بأن التجربة لا تزال قائمة. تديرها مشاهد فرعية تتخذ من نموذج البرقية إطارا تتشكل على منواله.

ويتجاذب النص (سيوانيات) زمانان على وجه التحديد:

زمان التجربة ؛ وهو زمان نصي يعكس التفاعل الحاصل مع المكان، ويصدع على سطح النص حيث تتبادل فيه الصيغ الماضوية والمضارعية الأدوار.

وزمان ما وراء النص ويتصل بعهد الصبا؛ حيث يمثل الدفع الخلفي لإنتاج النص الشعري ولكنه لا يتجسد على

مساحته (مساحة النص)، وإنما تحتجزه التجربة الآنية فلا ينفلت إلا في إطارها، لتترجمه الأمكنة بأسمائها التقليدية، والإنسان بأصالته، والطبيعة الساكنة و المتحركة بعناصرها





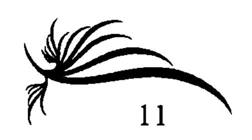
الآسرة . . . وجماع ذلك يلخص خاصية الانتماء ومن ثم التمظهر على سطح النص أنى تمثل الآنية قناته التي خرج (سيوان) بوساطتها (تظهر معالم زمان ما وراء النص فيما قبل النص أنى يبوح الشاعر ببعض منها في إهدائه) .

تتشكل المقاطع الشعرية، أثر ذلك، في صورة برقيات تختزل اللغة و تحجب الدلالة ليترك الشاعر، إثرها، للقارئ ترتيب أمور البيت والتأويل. ذلك أن المقطع الشعري يأخذ في الاختزال إلى أن يصدع جملة فعلية بسيطة:

من سيوان:
تبدأ رحلتها الأكوان !!

هذه الجملة البسيطة تستوي في تركيب غير عادي يحظى فيه المفعول به بالأهمية دون الفاعل؛ باعتبار هذا الترتيب ينسجم مع حركية النص التي تنفلت من عقالها آذنة في النمو، مستأنفة الحركة على صعيد النص، فكأنما دورة النص العادية لم تكتمل بعد، ولم يستنفد الشاعر طاقته في سيوان، لتبدأ الرحلة من جديد في المقطع الواحد والخمسين.

يتصدر المقاطع الشعرية في (السيوانيات) حدث مقترن بزمان (فعل ماض و مضارع) مما يعني قيام النص على حركة





كثيفة، يدعمها الحذف باعتباره لصيق الحركة ومن حيث إنه يعكس طاقة قوية تجاه المكان، الأمر الذي أدى إلى التفاعل مع المكان (سيوان) تفاعلا صوفيا وجماليا أكثر منه نفسيا؛ يقول:

في سيوان :
سبحت الله كثيرا،
آذتني الألوان

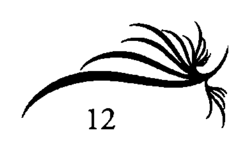
... ...

في سيوان :
أديت صلاتي الأخرى،
رقعت صمت صلاتي،
أجّلت صلصلة الآذان

... ...

شقشق العشق
أعلى مناقبه

تتجسد صوفية النص فنيا من خلال إتيان الطقس شعريا على غير المتوقع، والتعاطي مع الواقع بصورة عكسية. وهنا يتم الاحتكام إلى الصورة؛ من حيث هي مبادرة ذاتية ينزع فيها المبدع إلى التأليف بين المختلف، فتخترق القاعدة عرفا مدعمة بالسياق الذي يهيئ الطريق لذلك ومن ثم يتم تلقيها جماليا .





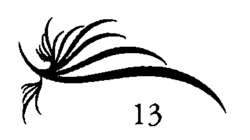
وتجسد صوفية النص أيضا من الناحية الفنية في ظاهرة الالتصاق بالمكان، واستثمار عناصر الطبيعة بمختلف أصنافها لتجسيد الحب، وإذ يتجسد الحب ينمو النص متوسلا النبات والحيوان والتضاريس والمرأة إلى أن يبلغ (النص) تمامه.

يقول :

في سيوان :
قمر يتدلى من شرك الوقت،
شمس تطلع من صهد الأبدان
... ...
مروج سوسن،
حدائق ورد،
أرداف كالكثبان
... ...

(سيوانيات) - على ذلك - نص ينمو في تلقائية يتحكم فيها التفاعل مع العناصر الطبيعية في صورتها البسيطة التي تنعكس بدورها ناقلة البساطة في أشكال تعبيرية مقتضبة خلو من المعاظلة والتعقيد.

الاختزالية باعتبارها بعدا نصيا:





الاختزالية[1] ضرب من الاقتصاد اللفظي لسانيا والإشاري سيميائيا، يستند في أساسه إلى مبدإ الاقتصاد في الجهد الذي هو ظاهرة إنسانية، ويمتد إلى كافة أساليب الإنتاج الحضاري الإنساني وهو - على النحو الذي نطرحه- حركة في المكان؛ إذ كلما تحرك الإنسان قلص الشكل ووسع المضمون (تمثل مسألة العولمة / والعالم قرية صغيرة خلاصة هذا الطرح/ وهو في نهاية المطاف سعي للتحكم في سيرورة الزمن).

وقد اتسع الخطاب الأدبي لظاهرة الاختزال بقدر كبير جدا مست أطره و تقنياته في آن معا حتى غدا النص الشعري، بخاصة، خطابا برقويا، يضيق في الإرسال ويتسع في الاستقبال. ويستمد وظيفته الدلالية والجمالية من هذه الصفة. وهنا ترسو مقولتا: « نحن نقول الشعر و أنتم تأولوه » و « ابن جني أعرف بشعري مني » فهما على ذلك كانتا، ولا تزالان، لصيقتي الظاهرة الشعرية.

1. الاختزالية التي نطرحها سمة في الخطاب المعاصر بشكل عام. و قد شملت أجناس الخطاب الأدبية كذلك، وبخاصة الشعر، وذلك عندما اتجه الشعراء إلى اختزال البيت في الشطر ثم في التفعيلة ثم في عزوفهم عنها، و اعتمادهم أساليب الحذف المختلفة إلى درجة التعتيم. مما يتيح إلى المتلقي سبر أغوار النص بالاعتماد على رصيده الثقافي.





و(مراتب العشق - مقام سيوان -)، التي نحن بصدد التقديم لها مدارسة ومحاورة لتجلياتها الشعرية، تجري في هذا المجال من الاختزال، وترجع الاختزالية الجلية فيها إلى التعلق القوي بالمكان؛ ذلك أن النص ينضح بنفحة صوفية يتوحد فيها الإنسان والمكان ليبرز إثر ذلك كيانا مزدوجا تتوجه عواطف خرساء يحل الصمت محلها:

في سيوان :
مروج سوسن
حدائق ورد
أرداف كالكثبان !!
... ...

في سيوان:
تهجس الريح:
أرغفة، صبايا
بساتين أقحوان
... ...
في سيوان:
كان الماء





صار الماء
خرائط من فيروز الجان !!
... ...
في سيوان:
ورد
وزعتر
وزيتون
وجوز
خوخ فتان

تتشكل الجمل في هذه المقاطع تشكلا أحاديا يغني فيه الحاضر عن الغائب (الحذف عن الذكر)؛ ونعني بذلك التئام المكونات اللفظية في المقطع الشعري دون وسيط، وإنما يتم الاتصال مباشرة بين الريح والصبايا وبساتين الأقحوان ويتولى المتلقي جمع الشتات وتاويل أدوات التماسك النصي من باب التقدير على أنها روابط معنوية . ومثل ذلك ما تعلق من حذف المتممات وشتى ألفاظ التخصيص أنى يستغني الشاعر عن تمام الجمل ليتولى المتلقي تقدير ذلك.

وقد أسلفنا الإشارة إلى الفيض العاطفي الذي يسع نص (سيوانيات) مما يتجسد علامات تعجب في مساحة النص،





ويتجلى حذفا على مستوى الملفوظ فتغني العاطفة عن الذكر، ويتولى السياق مهمة الربط بين الوحدات النصية.

وتتجلى الاختزالية ثانية، من الناحية الفنية، في طرائق إنتاج الصورة؛ حيث تغدو المقاطع الشعرية مثخنة بالتعبير غير المباشر الذي تتكئ فيه الألفاظ على التأليف بين ما لا يأتلف مشاكسة للواقع، واستفزازا للقارئ، وتكسيرا لمبدإ المواضعة. يقول:

في سيوان :
أطفأت منابع مائي
أجّجت أشرعة النيران !!

في سيوان :
شطح الوجد
رعش الوجد
قناديـل من حزن هتان !!

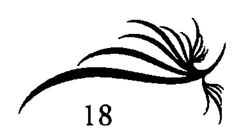
وجه آخر من أوجه الاختزالية ينبض به النص «سيوانيات» ويتعلق بالانتقال من الفاعلية إلى المفعولية في مثل قوله:





أدركني تيه الحيران !!
أدركني السكر
... ...
أشرقني دمعي
وقوله:
في سيوان:
أدركني
شطط الماء
... ...

لئن كان الانتقال من الفاعلية إلى المفعولية عند السواد الأعظم من الدارسين ضربا من المجاز والعدول والانحراف حينا، أو لأسباب دلالية تتعلق بأهمية الملفوظ حينا آخر، فهو في نظرنا ضرب من الاختزال فضلا على ذلك، وتتجلى اختزاليته في عزوف الشاعر عن رصد سلسلة من الألفاظ، والاكتفاء بالتحويل تكسيرا للمواضعة وانحرافا عنها. وهذا جوهر التوجه الحداثي الذي يسعى إلى حيازة الدلالة والجمال بأقل لفظ من جهة، وإدخال المتلقي في عملية التدبر والتأويل من جهة أخرى.





أسطرة النص الشعري:

وجد الخطاب الشعري المعاصر – ومنذ عهد (ت.س.إليوت، ولوركا) وسواهما إلى (السياب والبياتي) ومن حذا حذوهما – في الأسطورة ملاذا جماليا ودلاليا يخرج فيه من مجال التعامل الرسمي مع اللغة إلى ظلال من الإيحاءات والخوارق. ووجدت الأسطورة في الخطاب الشعري مرتعا للاستمرار والتواصل لتعيش ضربا من الانبعاث باعتبارها رصيدا حضاريا وإنسانيا لا ينبغي تركه أو نسيانه، ووجد المبدع أخيرا في هذا الضرب من التزاوج عهدا جديدا لعقد الصلة مع الشعر. ليقف

المتلقي إزاء جنس من القول يجمع إلى القديم جديدا، ويمتع بقدر ما يتمنع ؛ من حيث كان التمنع طريقا إلى الجمال.

تتجلى الأسطرة في الخطاب الشعري المعاصر في صور بعضها جاهز وبعضها ابتداعي. والنص الذي بين أيدينا يتجه صوب الأسطرة الابتداعية التي يمثل التأليف بين المتضادات والجمع بين ما لا يجتمع جوهرها.

إن هذه الظاهرة الشعرية المعاصرة لتي يحلو لنا وسمها بالأسطرة الابتداعية ضرب من التصوير والتخييل الذي يخلق

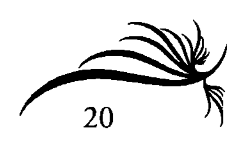




في النص فضاءات غير معهودة في الواقع، وغير مدرجة في سلم العرف اللغوي ومدلولاته، ولكنها نوع من المغامرة على صعيد الكتابة الأدبية التي تعيد بناء العناصر الخطابية في صورة من التأليف الخارق الذي يعيد تشكيل العنصر، ويهيئه للتكيف ضمن النسيج اللغوي في إطار نوع من العلاقات التركيبية المألوفة نحويا، بيد أنها لا تتسع للدلالة المنطقية ومن هنا تبدو أسطرتها .

ولعل الغريب – في خلق هذه الفضاءات الأسطورية – أن المتلقي حاضر بنوع من الإيجابية في التئامها؛ إذ لا يرى فيها اغترابا بقدر ما يواجهها بالقبول، ويهيئ لها أسباب القراءة والتأويل بالقدر الذي يجعل منها نصا .

قد يكون القارئ المعاصر محضرا – ثقافيا- للتواصل مع هذا الضرب من الكتابة الأدبية باعتبار التطور التكنولوجي الذي تجاوز ما كان مستحيلا ذات يوم؛ إذ نقل الأحلام إلى أرض الواقع، وقطع في ذلك أشواطا كبيرة مختزلا الزمان والمكان، فكان من الطبيعي أن يتكيف الخطاب الأدبي مع هذه النقلة النوعية في الإدراك الإنساني، ليتشكل النص الأدبي في فضاء أسطوري خاص به تتمظهر فيه العناصر الخطابية





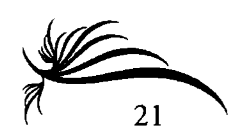
كائنات لا قبل للواقع بها، ولكنها مع ذلك تمتلك إمكانية التشكل والانتظام. يقول «عبد الحميد شكيل»:

على مرمى حجرْ،
من فضّيّات المرايا،
وهفهفات الزّهر،
لمحتُ الرّيحَ يفك أزرارَ سُـترته،

ويغنّي :
شاهرا رُمحه،
وعَرَاء النّساء الغجرْ!!

... ...

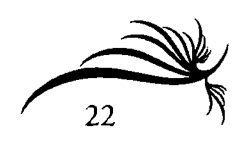
على مرمى حَجرْ
من معبر الماء،
وحفيفِ الأغاني الأغرْ:
أدركتُ الشحاريرَ،
النّوارسَ،
موغلة في مهمّات الشتاء،
الذي جاء أخيراً،
حاملا وزره،





مـا تدلّى من قبس الرّقصات
التي تمادت،
في انبهاق الفرحْ
أرْخَت تجاعيدَ بهجتها النّشـوية،
وباحـت بالذي كان مُحتقناً
في اغْبرارِ الشّجرْ!!
... ...
على مرمى حجرْ،
من باب البحر،
ومدائن الموْتى،
ورنّات المواعيدِ،
وصباحات العشّاق الكثر

كانت البلابل،
تسوي جدائل أشجانها:
سنابك من ضنك الوقت،
سحائب من حمإ الصوت،
تُعلي المناقب الشجوية،
تتوزعني في الأعالي،
وتطعننـي في انفراج اللهو





الذي تردد في غثاء الرّوح:
قوافل،
أخلاط بدوٍ،
شرائع من سحب القول
الذي بادرني بارتجاج الدّم،
وأخفى
عطايا
المطر !!

... ...

على مرمى حجرْ،
من «بستان عائشة»،
الذي في الفجاج البعيدة :
حاصرني الشمعدانْ،
ولما اقتربت من لذائذه،
مدّني بالدفوف السميكة،
وبالصوت المرجّى،
ودهشةُ الأغاني التي في الطوى،
ولما شدوت بقهر المراثي،
وبالمزامير التي شاخت بلاغتها،





خاتلتني :
كعاب المجرة،
ومن صدى روحي،
الغبار انتصرْ!!

تنساب هذه المقاطع الشعرية و سواها في نسق سردي وقد جمع بين عناصر الخطاب فيها مجموعة من الأفعال أشبه ما تكون بالأحداث السردية التي تهيئ إلى إقامة نسيج قصصي ولكنه يتجاوز الطبيعة الإنسانية ؛ حيث يخلق علاقات جديدة بين العناصر الخطابية على سبيل الاستعارة و المجاز المرسل. ولما كانت علاقة المشابهة فيما بينها على قدر كبير من المعاظلة والتعقيد مما لا يتيسر حمله على موضوع فقد كان مبررا أن نسوقها على الأسطرة .

أ. ر. ش.
عنابة : 2004/02/22





حجريات !!

« ألا فلتكن ترابا،
حتى تنبت الورد مختلف الألوانٍ !
لقد ظللت السّنين الطوال حجرا
يوخز القلب،
فجرّب لحظة أن تكون ترابا »

«جلال الدين الرومي»





على
مرمى
حجرْ،
من فضّيات المرايا،
وهفهفات الزّهر،
لمحتُ الرّيحَ يفك أزرارَ سُترته،
ويغنّي :
شاهرا رُمحه،
وعَرَاء النّساء الغجرْ ! !



على
مرمى
حجرْ،
من معبر الماء،
وحفيفِ الأغاني الأغرْ :
أدركتُ الشحاريرَ،
النّوارسَ،
موغلة في مهمّات الشتاء،
الذي جاء أخيرًا،





حاملا وزره،
ما تدلّى من قبس الرّقصات
التي تمادت،
في انبهاق الفرحْ
أرْخَت تجاعيدَ بهجتها النّشوية،
وباحت بالذي كان مُحتقَنا
في اغْبرارِ الشّجرْ!!



على
مرمى
حجرْ،
من باب البحر،
ومدائن الموْتى،
ورنّات المواعيدِ،
وصباحات العشّاق الكثْرْ :
كانت البلابل،

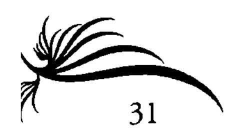




تسوي جدائل أشجانها :
سنابك من ضنك الوقت،
سحائب من حمإ الصوت،
تُعلي المناقب الشجوية،
تَتَوزَّعُني في الأعالي،
وتطعنني في انفراج اللهو
الذي تردد في غثاء الرّوح :



قوافل،
أخلاط بدو،
شرائع من سحب القول
الذي بادرني بارتجاج الدّم،
وأخفى
عطايا
المطر ! !





على
مرمى
حجرْ،
من باب البرّ،
الذي في الخواطر المشرئبات :
رفّ طيرُ حبيبي،
راقصني في انفتاح الكوة،
ورّطني في فضائل جبتـه،
التي غصّت بشهيق البذخ !



خلفني شِلوًا،
حرائق
مدلهمّات
من برد القيظ،
الذي أكابد،
وما حباني
بعطف النظر!!





على

مرمى

حجرْ،

من باب الفتح، المفتح،

بالمفاتيح،

الفتوح،

الفاتحات

مغالق البرزخ

كنت أناجز الورد،



النساء النحيفات،
ما تبقى من شَدَنِ عشق قديم،
ما تفرق في الدربَ الإلهيِّ،
الذي راوغني في منحدراتَ المطالع،
وما
كساني
بخفق الوتر ! !





على

مرمى

حجرْ،

من باب العدل الذي في العُدول،

المعدّلة،

بالعادلاتِ،

النّازلاتِ من ثبجِ الهوينا ؟

لاح سربُ مَن أَهوى،

وما سمّاني حبورا !



ولا مَسَّني بمرايا الحبقْ،
ولا آخى بين
شجوني،
وبين
عقوق الوَرَق !
ولا بين
التي شقَّت بُروج صدْري،





وأرْختْ مراكِبها الثّكلى،
في خضاب الشفقْ،
ولمّا صحوتُ،
وأزحتُ هُلامَ الأرقْ !
صدّني الماءُ الغلاميُّ،
والبابُ الفراغيُّ
في وجْهي اصْطفقْ ! !



على

مرمى

حجرْ،

من باب الرّيح الذي استوى في اللّغوبْ

جعلتُ الماءَ :

نِساءً،

ومراجيحَ،

وفاكهةً،

وقواريرَ من رغَدِ الدّمْعِ،





وشجوا مديدا
من سعف النخل
الذي في الأعالي،
وأباريقَ مسوَّمة
من شراب الصفوة،
الذين اخترموا مزنة القلب،
وتنادوا في استغراق المجرة :



وِلدانٌ
مَفعمون بطقم الغِلمة
التي أغوت تقوى المريد
وأسْلَمتني فتحا شهيا
لرجع الأغاني،
وما تفصد من وسَن العين
التي أوقدت مقابسهاَ في ارتفاع الظلامْ ! !





على
مرمى
حجرْ،
من باب العشق الذي اكتوى بدم المحاجر:
أوقدتُ مشكاة الجوى،
أرْبَدتُ بالذي ساورني في هيولي المنام،
اتّشحتُ بمرايا الرّيح،
صقيع الغمام،
ناورتُ الدربَ،





ناكفتُ الصّحاب،
ولما أشرقَ الليل،
وتناهت إلى شجوي شطحات المجال،
سلمتُ للآيل :
نساء البرق
الذي انقَدحَ من القوس
ثم انشطر ! !





على
مرمى
حجرْ،
من باب الغواية
التي تصادت في ارتعاشاتها :
فَصَدْتُ دم نشيدي،
ما تقرَّح في القلب
من هزيج المرايا،
شعث الدروب البعيدة،





انتعاظ النرجس الذاهب في التماهي
فحيح السّعالي،
التي أجّجت نيرانها في لغة التمامْ،
قهر الجهات العصيات،
ما تضوع
من نجوع
السّحرْ !!





على

مرمى

حجرْ،

من باب المحبة

التي شَخَبَتْ مياهها

في غلس الجهاتْ :

عقدتُ للريح،

على

زبد



الموج،
الذي شرّدني،
وأوردني :
البَهْوَ،
والسَّهْوَ،
واللَّغْوَ،
ومرّر شآبيبي لصفو القطرْ ! !





على

مرمى

حجرْ،

من باب الجوارح

التي تنادت في تباريحها :

أبخستُ زهو القصائد،

الكتابات التي خذلتني،

وأشرعتُ

الذي من حَرِّ الصبابة انفطرْ ! !





على
مرمى
حجرْ،
من باب الكفاية
التي أبهتوا زهوها :
أقمتُ المضارب،
أطلقت الطير المعلّق
في شَرَكِ السّراج،
أرخيتُ الشّراع





الذي تمدد في التجانسِ،
سَمَّيتُ طريقي،
أول الغيث الثجَّاجْ،
ولاتجاه
القوس
والرقبهْ،
حرّكت شنآن الفجاج !!



على
مرمى
حجرْ،
من بابِ الصبر،
الذي نأى في التراشق :
رددتُ شكل المراجح،
نهم المضاجع،
لمع العيون
التي أربكتني في مطلع العمر الأغرْ ! !





على
مرمى
حجرْ،
من باب الحياة التي أوغلت
عراجينها في الأريجْ :
كل شيء تبدّى :
جميلا،
وحُلوًا، وغضًا،
ثم انتحر ! !



على

مرمى

حجرْ،

من باب الهلع الذي دَرّبني

على احتمالات الفجيعة :

شيّدْتُ دارًا،

ومِدْخَلَةً،

وزِيتونة من سحائب الموج المرقَّط،

ولّما علت فسائلها،





واستوت كالبروج :
دعوت حبيبي الذي
غرّبته الأقاصي،
لكنه أمْعنَ في ارتياد
الشَططْ،
وسمّى الذي يتناسل بيننا
كل الغلطْ ! !



على
مرمى
حجرْ،
من باب الوليمة التي أشرعت طيورها للوقاع
ظل مريدي يغنّي،
ويرقص رقص الشراع،
ولما دنوتُ من جنة مباهجه : وجدت المراجح
تنأى، وتنأى ...
وما تبقّى من شجن الورد انحسرْ !!





على

مرمى

حجرْ،

من باب الغيث الذي في الصدود :

شرحت كتاب الشفاء

الذي في معراج الصدر شَخبْ،

رمَيتُ رُعودي،

وفُسحةَ مائي،

وبهجةَ دفقي الذي رشفتْه نِساء الحجر !!





على
مرمى
حجرْ،
من باب القيامة،
التي رَعَشَتْ بالنّدى والقنوطْ :
علقت مساغب البدر على مجسات النوى،
ثم استويتُ
نجيعًا،
وخطوًا سريعا،





وفاكهةً من ماء المجرة،

ونازلة

ظمأى،

وعصافير تغني،

وتنأى ...

ومرايا شاحبةً،

من نكالات العمرْ ! !



على

مرمى

حجرْ،

من بابِ النفس،

التي لاَبتْ في تواشيحها :

رميتُ مفاتيح القول

الذي لم يعد مفتتحا

للوضوحْ،

ولا مُتسَعا





للمدى،

ولا برزخا

للمرايا

التي شَحَبتْ في دمي،

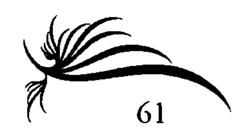
واستكانت

لزرائب القيظ

الذي في الغُلُوِّ انتشرْ ! !



على
مرمى
حجرْ،
من باب البهو،
الذي ورّطني في مياه الخفق :
أعطيتُ للوقت بهجة المجرى
وللطير رقعة المسرى،
وللغوث فتح الصوت
الذي في الأسماء انطمرْ ! !





على

مرمى

حجرْ،

من باب المعنى،

الذي في التجاذب :

بايعني الربع الذي لجّ في المشتبهِ،

وصيّرني جسدا يتلوّى،

وصوتا من الشَّجْوِ انكسر ! !

ولما بلغتُ المنتهى،



وقاربت المستوى :

حاورني في معنى الحروف

التي في بدء السُّورْ،

ولما استوى في شرطه،

واستوى شجوه،

خلّفني في بهو الصراط،

ثم انحسر !!



على
مرمى
حجرْ،
من «بستان عائشة»،
الذي في الفجاج البعيدة :
حاصرني الشمعدانْ،
ولما اقتربت من لذائذه،
مدّني بالدفوف السميكة،
وبالصوت المرجّى،



ودهشة الأغاني التي في الطوى،
ولما شدوت بقهر المراثي،
وبالمزامير التي شاخت بلاغتها،
خاتلتني :
كعاب المجرة،
ومن صدى روحي،
الغبار انتصرْ!!





على

مرمى

حجرْ،

من باب الخليقة

الذي في مرايا القتادْ :

أفضيت للقيظ بالحرقة،

أشرعت للبراري جهات الريح،

واجهت الرزايا،

خوضت في الماء الغبار،



ولما ادلَهَمَّ الوجد،

وتصادت

مجرات الخيالْ :

تغاضيت عن الوجه القناعيِّ،

وأسرجت

للطير

فتح النهارْ ! !





على

مرمى

حجرْ،

من مرايا الماء

الذي تواشج بذؤابات الشجرْ :

أبجست الريح فجوته،

والقطر فروته،

ناجزت القمر،

ولما جاوزت المدى،

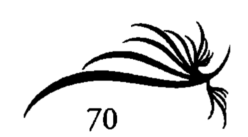


وانتشرت في ذرات المكان :
ساورتني الهواجس،
أعليت شنآن الكلام،
ناوشت الطير بالأغاني،
وبما أتوفر من شعائر الموج
الذي ضجّ بالمراثي،
ساومني على قدح المعاصي





انثنيت أماما،
اندفعت وراء،
سميتُ اتجاهي سقطات الطريق
الذي خذلني بالفقد،
وبما تردد
من كلام الذين اجترحوا ورد ة الماء،
ومروا يبابا في الصراط الأخيرْ ! !





على
مرمى
حجرْ،
من لذائذ المعنى
الذي أفجعني،
وأورثني المسغبهْ :
رماني حبيبي
بشواظ مسلاته،
ولما سال دمي





على حطام الأرصفهْ :
سماني نداء الكلام
الذي يجيء من متسع الفقد
هبة الفضة
التي افترعت
شرعة التحول،
سمتَ الأضرحهْ ! !



على
مرمى
حجرْ،
من باب الصبح الذي في الأفول المنتشر :
ابهتوا زهو قصائدي،
شدوا فروة شعري إلى صخرة لا تلين !
ولما تبدى مجدَ فجر في الشرائط والصور،
عبرت الماء الغباري الذي بلغ الرُّكبْ،
قابلت الجثث،





أسكنت الغواية،

فتنة الماء الذي في الفجاج،

ثم استويت :

تينة،

لحنا من صوت المرايا

التي تناد ت في انكسا راتها ،

مدىً، حيزوم ماء في مَقْدَمِ العاصفهْ ! !



على
مرمى
حجرْ،
من باب الرجع
الذي في الصدى :
فصدت دمي
على تُوَيجاتِ الزّهر،
ورطت المريد،
ثم أشرعت باب السفرْ ! !





على

مرمى

حجرْ،

من باب القربى التي في التمام :

صليت صلاتي الأخيرة،

عانقت حبيبي

الذي يجيء في شجو النبرات فراتا ،

وقدحا من رعشات الأحبة،

ولما نادمته،



واستوى بيننا حلو الكلام،
وكشفت عن لذائذه التي في الكمون :
رماني بسهم النوى،
ثم تعدد، وتمدد،
وتردد،
وتشدد،
وتوعد ،ثم سماني خسوفا ،





وفتحًا بُهُوتا،

ونازلة من نار التوحد

الذي تماهى في رهج الذهول،

وإذِ اكتويت بنارها،

واستشاط الريح رغدا :

سوّتني بالتراب،

وتحاشتني بالأفولْ ! !



على
مرمى
حجرْ،
من باب المأوى
الذي في سهب الطيوب :
أوقفتُ الصفوة،
حاورتهم في الذي يجيء من المشارق
برقا
والذي يجيء من المغارب





رتقا،

والذي يجيء من ظل الأماكن

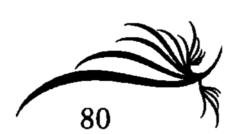
شنقا،

ولما رجوت الدخول إلى عطر جناتهم :

تنادوا في المجرات،

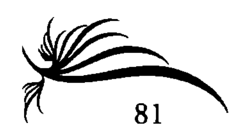
أطفأوا

صخب الموج،





أبخسوا
لهب الأقاح
الذي تمدد في البراري،
صرت
غرقا،
وشلوا كظيما
لا يفيء إلى جناتهم،





وقلبا
لا ينبض
عشقا،
ولما استويت
في النارْين :
أفردوني
شرقا !!



على

مرمى

حجرْ،

من باب التوادد :

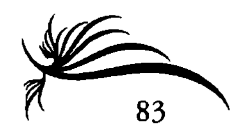
واريت أقلامي،

ارتديت خيوط الجبة،

ناديت الشجر،

ولما تململ الماء،

في فجوات القلب الذي اخترموا مجساته،





وتصاديت بالوجع الذي ناجزني :
انتبذت المكان القصيَّ،
أفردت للريح مناراتها ،
وللطير مناحاتها ،
وللشيخ البرزخ وفتح المنتهى ! !



سيوانيات !!

« إلى جمال زرقوط :

هل تذكر دهشتنا،

أقصد بهجتنا ؟

في « جامعُ لَخْناقْ »[2]

كان البحر من خلفٍ،

ومن قدّامْ، كنا منبهرينَ،

بموسيقى اللونِ، ورنينِ الأنغامْ ! !

---

2. جامع لخناق : ممر بين جبلين.

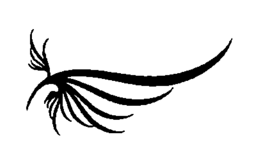




في
سِيوَانْ[3]:
توهّجُ أعمدةُ الريحِ،
منازل من قش،
مرايا من دُخَّانْ،
في
سِيوَانْ[4]:
أرى البحرَ، أشرعةً تتْرى،
سفائنَ من غيم الشطآنْ،

3. سيوان : اسم بلدة
4. سيوان : اسم بلدة





في
سِيوَانْ [5]:
كانَ البحرُ مصطبةَ الماءْ،
والبرَّ مِجمرةَ الإيوانْ ! !
في
سِيوَانْ [6]:
شاهدت امرأة، فاتنةَ النَّحرِ،
تتقافزُ من وَجنتيها،
أنسامُ الزعترِ الجبليّ،
مرايا من زنْجبيلِ الوِديانْ ! !

5. سيوان : اسم بلدة
6. سيوان : اسم بلدة





في

سيوان :

قمرٌ يتدلّى من شركِ الوقتِ،

شمس تطلع من صَهَدِ الأبدانْ ! !

في

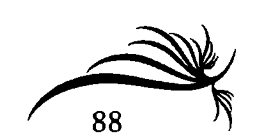
سيوان :

تتهادى امرأةُ الماءِ،

تصيح البهجةُ :

أنا فتنة الكون الأزليّ،

فاضحةُ الفرسانْ ! َ!





في

سيوان :

مروج سَوسَن، حدائقَ وردٍ،

أردافٌ كالكثبانْ !!

في

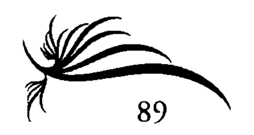
سيوان :

لَمحتها عندَ مرتفع النَّبع،تَتنكَّبُ جرّتها

الفخاريةَ، تنقل بدلال بَذَخ خُطوتها،

أوْجَعتنِي، إذ أوْمأتْ في شجنٍ،

صرت خِرقةً من دخّانْ !!





في

سيوان :

تهجسُ الريحُ :

أرغَفة، صبايا،

بساتينَ، أقحوانْ ! !

في

سيوان :

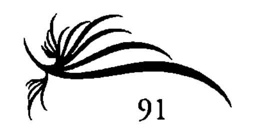
كان الماءُ،

صار الماءُ، خرائطَ،

من فيروزِ الجانْ ! !



في
سيوان :
تبهجني الحمرة،
يحتويني رغد الردف،
تُ ف ت تُ نِي العينانْ ! !
في سيوان :
باب الريح مُوصَدَةٌ، باب البرق مُوصَدَةٌ،
باب البحر مُوصَدَةٌ، باب الجسد مُوصَدَةٌ،
باب النساء مُوصَدَةٌ، باب الشفاعة مُوصَدَةٌ





بابِ الباب، إلى الباب مُوصَدَةٌ،
كيفَ – إذن– نَهزِمِ أسرابَ الغرْبانْ !؟
في
سيوان :
ساءلتها في كَبد :
من أينِ لك هذي الفَتَنَة النّاجِزة،
وأنت تُطلّينَ على بحرِ الثّلج،
غاباتِ المِوتِ والغِيلانْ !؟



في

سيوان :

ضَيَّعتُ بَوصَلتي،أقمتُ للطَّيرِ الوارِدِ، عشا

في سفح « القوفي »[7]

الضَّاربِ هزجاً في الوجدانْ

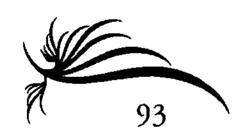
في

سيوان :

في « جامَعْ لَخْنَاقْ » رأيت بحر « القُلَ »

شاطئ « وادي الزهور » الأسْيَانْ

7. القوفي : ولي يزار، و تقدم له النذر





في
سيوان :
رفَّ طيرُ الماءِ النّاري،
متَّشِحًا بِحُوريَّاتِ الشَّجرِ الزَّانْ ! !
في
سيوان :
تمشي النساءُ منتصباتٍ،
كالرُّمْح،
في قبضَةِ أعتَى الفرسانْ ! !





في
سيوان :
يكبرُ الأَيلِ الجبليُّ،
محتشداً، بالجوز،
شجيْراتِ الرَّيحَانْ،
في
سيوان :
نساءٌ حورٌ،
ولدانٌ شآيبٌ،
كِعابٌ تشعُّ كمَرَايَا الرّحمنْ ! !





في
سيوان :
وردٌ، وزعترٌ،
وزيتونٌ، وجوزٌ،
خَوخٌ فتانٌ ! !
في
سيوان :
يتساوىَ الرِّيحُ / الماءُ،
سبحانَ اللهِ، سُبْحانْ ! !



في

سيوان :

صدّتني امرأةٌ، شفّافة كالضوءِ،

معتّقة كنجوى الصّوفيّهْ،

قاسية كنصوصِ الأديانِ !!

في

سيوان :

غزالة مَرقتْ،

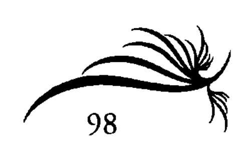
من سهوِ الوقتِ يا لبهجتنا

سكنت درب التّبانْ !!





في
سيوانِ :
اختلطَ الأمرُ عليَّ،
سميتُ القحطَ : دَوحَ الأفْنانْ ! !
في
سيوان :
ينهض شجرُ « السَّمْلِيلْ »
مفتتِحًا موسمَ الصَّيْدِ ،
إذْ يصْدحُ بالشَّبَقِ : طيرُ الخُلْجانْ ! !





في

سيوان :

أطفأتُ منابعَ مائِي،

أجَّجْتُ أشرعةَ النِّيرانْ ! !

في

سيوان :

وثَّقْتُ هَوامِشَ نصِّي،

ناكفتُ الرِّيحَ،

أدْركَني تَيَه الحَيْرانْ ! !





في

سيوانِ :

يَنزلُ اللَّيْلُ أبخرةً،

ستائِرَ من غيْمِ الوِديانْ ! !

في

سيوان :

شَطحَ الوجْدُ،

رعشَ الوجْدُ :

قَنادِيلَ من حُزْنٍ هتَّانْ ! !



في

سيوان :

أدركِني السُّكْرُ،

و تعتعني الإيمان ! !

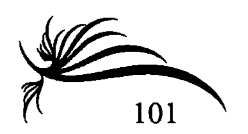
في

سيوان :

أشْرَقِني

دمْعِي،

شَرِبْتُ التَّحْنَانْ ! !

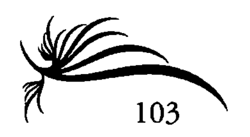




في
سيوان :
وحَدْتُ الخالقَ سبْعا ،
أحْزَنِني بؤس الإنسانْ ! !
في
سيوان :
شاخت ورودَ مزاميري،
باحت بالسّر
شهقات النّسوانْ ! !



في
سيوان :
لاطَفتُ الماءَ،
لملمت نثّار النّار،
غنيتُ شَظفَ البسْتانْ ! !
في
سيوان :
عرّيتُ الغابةَ من خُضرتها،
شَيَّدتُ للصَّهدِ أوجارا،
مكامِنَ من رغدِ الأزْمانْ ! !





في
سيوان :
مأوى للصوفيهْ،
غيران للرُّهبانْ ! !
في
سيوان :
مَواجِد من شكٍ،
تزمّلِني،
بِرَفَاهِ الرُّمَانْ ! !



في

سيوان :

كشفت سرَّ قَصِيدي،

شردني صلف العنوان !!

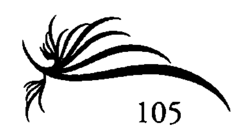
في

سيوان :

ساقيةٌ لِشحُوبِ الماءِ،

نَبعٌ،

لِلغوبِ المَرجانْ !!





في

سيوان :

رفعتُ يدي مِزولَةً،

غنيت للشّنَآنْ ! !

في

سيوان :

ثَمّةَ شيءٌ غامضٌ،

لا أدركهُ، لا يدرِكني :

بلْدةٌ في نَبرةِ الرّيح،

أم « بِيمَارِسْتَانْ « ؟ !



في
سيوان :
أدركتُ الحدَّ الفاصلَ،
بين الوقتِ، والوقتِ . .
عرفتُ السِّرَّ الكِتمانْ ! !
في
سيوان :
أدّيتُ صلاتي الأُخرَى،
رقّعتُ صمتَ صلاتَي،
أجّلتُ صَلْصَلَةَ الآذانْ ! !





في

سيوان :

شربت ماء الرّيحْ،

قَطرَ الشّيِح، وظللتُ ظمآن ! !

في

سيوان :

شَقْشَقَ العِشْقُ،

أعلى مَناقِبَهُ،

ارْبكنِي أنْ يُغْرد النَّهْدانْ ! !



في

سيوان :

ثَمَّةَ شَرْقٌ،

غربٌ،

بل بُلدانٌ ! !

في

سيوان :

مَرَاياَ من عَسْجَدٍ،

سجَّاد من « إيران » ! !





في

سيوان :

منابع ماءٍ ثَجّاجْ،

وجوهٌ طافِحة بالبشر،

كثيرة هي أسرابُ النَسْوانْ !!

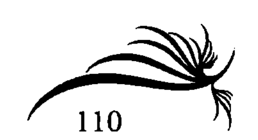
في

سيوان :

تُربكِني الخَطوةُ المتزَنَه،

الصَّدرُ المتَماوِجُ، الرِّدفُ الهامِسُ،

يُ ز ل زِ لُني الجَفْنُ النَعْسانْ





في
سيوان :
صلّيتُ صلاتي الأولى،
أمْطرني الصُّبحُ :
صبايَا، سنابل، من وَهجِ الفَرنَانْ[8] ! !
من
سيوان :
تبْدأ رِحلتَها الأكوانْ ! !

8. الفرنان : اسم شجر





في
سيوان :
توحَّدتِ الخطوةُ،
بالخُطوةِ،
ذابتْ في صَبابَتهَا الأشْطانْ ! !
في
سيوان :
سبَّحتُ اللهَ كثيرًا،
آذتني الألوانْ ! !



في

سيوان :

يشتّدُ لغطُ الأشياءْ،

تَنْداحُ فصوصُ القولِ المجَّانْ ! !

في

سيوان :

تَتجلّى سجَّادةُ الوقتِ :

خضْرةُ زرعٍ،

تَغرِيداتُ طَيرٍ فَرْحانْ ! !





في

سيوان :

شربتُ ماءً قُراحًا ،

أحسَسْتُ بالرَّعْشةِ،

انْزاحتْ عن ورْقائِي الأحزانْ ! !

في

سيوان :

خَصفْتُ نَعْلِي،

رقَّعتُ خِرْقتِي،

بدأتُ رِحلةَ الإيمانْ ! !





في
سيوان :
فصَّلتُ مرايا العِشْق،
صُغْتُ مَلْحَمَةَ الصَّنْوانْ ! !
في
سيوان :
فصَدْتُ دَمِي سَقْسَقَةً،
فاسْتوتْ على سُوقِهَا،
شَقَائِق الفُلَ والنّعْمانْ ! !





في

سيوان :

أدْرَكَني شططُ الماءِ،

سوَّمَتْنِي بِحكمَتها الأزمانْ !!

في

سيوان :

ارتدَيتُ الجُبّةَ،

نَزعتُ الجُبّةَ،

آلْفتُ بَينَهُما :

صِرتُ « عرْيانْ » !!



في

سيوان :

طارَ بِي الرخ،

أنزلِني أرضَ المنّ و السّلوَانْ ! !

في

سيوان :

كلَّما جاوَزُتُ جَسدا،

وحمدت الله مُعْتَبرا

حاصَرَني جَسدٌ ثانْ ؟ !





في
سيوان :
نهضْتُ من يَقظَتِي
م ُن ْت شِ را ،
رَكبتُ الأَبجَرَ، حركتُ الرّيحَ،
ضِعْتُ في نَسَقِ « الجَسدَانْ »
في
سيوان :
لَغَطَ الماءُ الطَّالِعُ من شَبَقِ الجُوزِ،
أَوْقَعنِي في صَهَدِ المَعْمَعانْ ! !





في

سيوان :

أَوْقَدْتُ تُنُّورَ رَمادِي،

شَطَحتُ في مُحتَدَمِ الشّدْوِ،

لكِنّ مَباهِجَ مائِي،

تَدلّتْ رِتْقا،

إذ جاوزْتُ مُفْتَتَحَ الزَّوَغانْ ! !





في

سيوان :

لَحَسْتُ سِكينَ النّارْ،

رَقصْتُ في زَخَم الحَضْرَة،

لكني خَرجْتُ مَذبوحا ، بِرِيشِ الهَذَيانْ،

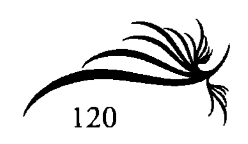
من

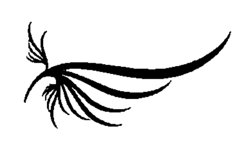
سيوان :

يَبْدأ يومُ الحَشْر،

ويُوضَعُ للناس المِيزانْ ! !

2000 / ••• •••••





المشتمل



طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية - الجزائر-
2013
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
-Algérie-
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (023) 96 56 10 /11

مراتب العشق

مقام سيوان

تتجسد صوفية النص فنيا من خلال إتيان الطقس شعريا على غير المتوقع، والتعاطي مع الواقع بصورة عكسية. وهنا يتم الاحتكام إلى الصورة، من حيث هي مبادرة ذاتية ينزع فيها المبدع إلى التأليف بين المختلف، فتُخترقُ القاعدة عرفا مدعمة بالسياق الذي يهيئ الطريق لذلك ومن ثم يتم تلقيها جماليا وتتجسد صوفية النص أيضا من الناحية الفنية في ظاهرة الالتصاق بالمكان، واستثمار عناصر الطبيعة بمختلف أصنافها لتجسيد الحب، وإذ يتجسد الحب ينمو النص متوسلا النبات والحيوان والتضاريس والمرأة...